

تقف امرأة واحدة تقاوم ما تناثر من سنواتٍ عمرها ...

حملت تسعَ مراتٍ، بقي لها ستُّ بناتٍ، فيما مات ابنها بعد أسبوعٍ من ولادته، ولحقت به طفلةٌ سقطت من يد الفريق الطبي، أما الثالثة، المصابةً بمتلازمة داون، فوافتها المنية بعد ثلاث سنواتٍ ونصفٍ ...

في زمنٍ تتعاقب فيه الخساراتُ وتتداخل المصائبُ بين البيوتِ والقلوبِ، تظهر حكاياتُ الصمودِ كتجسيدٍ لإرادةِ الإنسانِ في مواجهةِ القدرِ، وسط زمنٍ تتراكم فيه الخساراتُ على أعتابِ البيوتِ، تقف امرأةٌ واحدةٌ تقاوم ما تناثرَ من سنواتٍ عمرها، امرأةٌ حملت فواجعَ الأمومةِ والحربِ معًا، وثبتت على قدميها رغم كل ما سقطَ من روحها في الطريقِ.

أروى (٣٩ عامًا)، من معسكرِ جباليا، وُلدت في مجتمعٍ يزوج الفتاةَ فور اكتمالِ ملامحِ أنوثتها، في السادسةِ عشرةَ من عمرها تزوجت من سبَّالٍ مكافحٍ عاش معها ١٢ عامًا في غرفةٍ واحدةٍ داخل بيت العائلةِ.

حملت تسعَ مراتٍ، بقي لها ستُّ بناتٍ، فيما مات ابنها بعد أسبوعٍ من ولادته، ولحقت به طفلةٌ سقطت من يد الفريق الطبي، أما الثالثة، المصابةً بمتلازمة داون، فوافتها المنية بعد ثلاث سنواتٍ ونصفٍ، ومع ذلك، بقيت صابرةً، متمسكةً ببناتها وزوجها الذي أكمل تعليمه الجامعي وتحول إلى محامٍ، وكانت خيرُ سندٍ له في دراسته وتحضيرِ الموادِ على الحاسبِ الآلي وتلخيصها.

لكن حياتها شهدت منعطفًا قاسيًا بعد عامين من ميلادِ ابنتها الأخيرة، حين تعرّضت لنزيفٍ حادٍ تبين أنه حمل عنقودي خارج الرحم لطفلٍ ذكرٍ، وكأن الأقدار كتبت لها إنجابَ البناتِ فقط، دخلت غرفةَ العملياتِ لاستئصال قناةِ فالوبِ، إلا أن خطأً طبيًا تسبب بإعطائها حقنةً خاطئةً أدت لاستئصالِ الرحمِ كاملًا، وفي مواجهةِ هذا الفقدِ الجسيمِ، كان عليها أن تلمَّ جراحها النفسيةِ والجسديةِ لتستمر في تربيةِ بناتها الخمسِ.

جاءت حربُ ٧ أكتوبر لتفتح بابًا جديدًا من المآسي، كانت الصواريخُ والقذائفُ مستمرةً دون توقفٍ بشكلٍ مرعبٍ ومخيفٍ، فهربت مع بناتها إلى بيتِ ابنتها المتزوجة، ثم إلى مكتبِ محامٍ صديقٍ لزوجها، وفي ٨ ديسمبر ٢٠٢٣، قُصف الجامعُ المجاورُ لهم، فأصيبت بقدمها إصابةً طفيفةً، لم تمر ساعاتٌ حتى قُصف البيتُ الذي يحتمون به، فانفجرت النيرانُ عليهم دون أن يسمعوا صوتَ الانفجارِ.

سقطت بناتها تحت الردمِ، وتفرقت صرخاتهم بين الغبارِ، رأت ابنتها ذات (١٦ عامًا) مغطاةً بالركامِ، والتي تكبرها بعامين غارقةً بالدماءِ، أما شقيقتهن الثالثة فكانت تجلس على الدرجِ رغم الدماءِ التي غطتها، والأخرى تحاول حمل شقيقتها الصغرى إلى عيادةِ الوكالةِ، في حين سمعت نداءً ابنتها ذات ١١ ربيعاً الأخيرِ، وأنينَ أنفاسها الأخيرة قبل أن تفقد وعيها، أفاقت في المستشفى لتتفاجأ بفقدان ثلاثٍ من بناتها: الأولى استشهدت فوراً، والثانية فارقت الحياة أثناء العملية، أما الثالثة توفيت بعد ثلاثة أيامٍ.

وفي ١ نوفمبر ٢٠٢٤ فقدت ابنتين أخريين جراء قصفٍ آخرٍ، ليبقى لها واحدةٌ فقط، وأصيبت في يدها وقدميها، وأصيبت ابنتها الوحيدة كذلك، وهي تعاني من عمليةٍ أُجريت لها قبل الحرب نتيجة خلعٍ في الميلادِ وفيها ٩ براغيٍ بلاستين، بينما أصيب زوجها بكسورٍ في قدمه، فوجدوا أنفسهم جميعًا محاصرين بالجيبِ، يحاولون النزوح جنوبًا؛ انصياعًا لأوامر جيش الاحتلال الإسرائيلي بضرورة إخلاء شمال غزة.

لم تتوقف الفواجع عند ذلك، ففي يوم جمعةٍ، خرجت لحفلٍ تكريم ابنتها الحافظة للقرآن، رغم رفض زوجها، وعندما تأخرت قررت المبيت عند أهلها، لتصحو على خيرٍ قصفِ الشقة التي ينام فيها زوجها، هرعَت إلى المكان لتجده مذهبًا مذهبًا يخبرها أن الصاروخ مرَّ فوقه مباشرةً، مخترقًا شقةَ الجيران ليقتل عشرةً أشخاصٍ، وهكذا، ظلت حياتها سلسلةً متواصلةً من التحديات التي لا تهدأ، وحصارٍ من الألم لا ينقطع.

وفي ٢٦ أغسطس ٢٠٢٥، ومع تهديد الاحتلال باجتياح غزة، هربت إلى الجنوب مع ابنتها الناجية الوحيدة، لكن أثناء عودتهما بعد أيامٍ قليلةٍ، انقلبت بهما العربة التي تجرها سيارةٌ على تبةِ النويري وسط قطاعِ غزة، ففقدت ابنتها الذكرة لأربعة أيامٍ، وما زالت حتى الآن لا تتذكر تفاصيلِ الحادثِ، ولا تزال الأم تعاني من آلامٍ في يدها وقدميها، فيما تنتظر تحويلًا للعلاج خارج القطاعِ.

رغم كل هذا، لم تفقد إيمانها "أنا صابرةٌ ومحتسبةٌ.. أعرف أن مصابي عظيمٌ، لكنها أقدارُ الله.. أتمنى فقط أن تكون زهراتي بخيرٍ، لقد اشتقت إليهن."

حكايةُ أروى ليست مجرد قصةٍ مأساويةٍ، بل هي شهادةٌ على قوةِ الصبرِ وصلابةِ الإيمانِ في مواجهةٍ ما لا يُحتملُ، إنها تذكيرٌ بأن الإنسان قادرٌ على الاستمرارِ رغم كل الفقدِ والدمارِ، وأن الأمل في حياةٍ أفضلٍ، مهما ضاق الطريقُ، يظل شعلةً مضيئةً تضيء دروبَ الألمِ.

